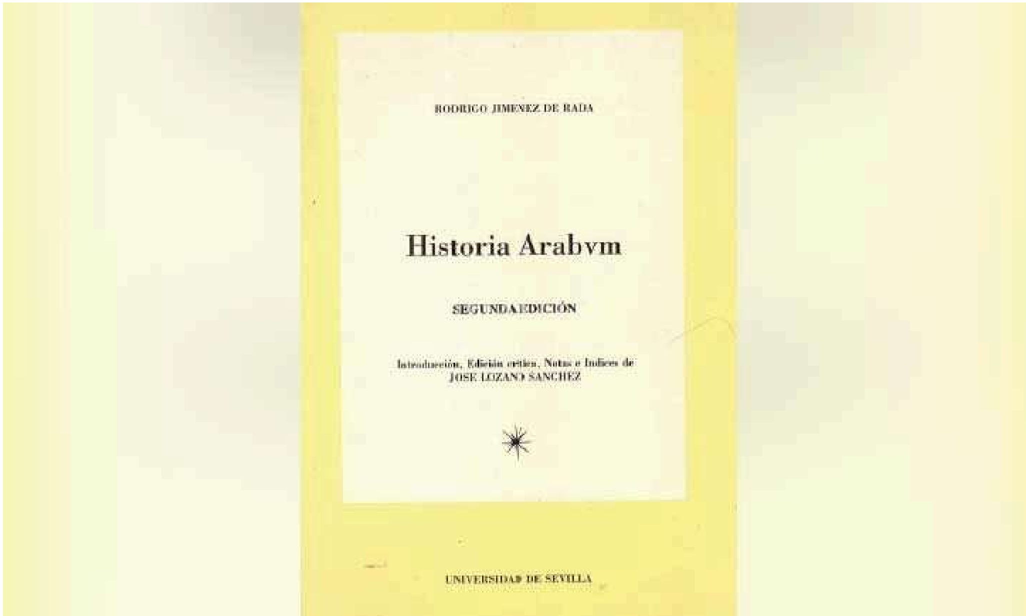
أثر الترجمة في اكتمال صورة التاريخ

20 - أغسطس - 2025



ساعدت الترجمة على مرِّ العصور في نقل الكثير من العلوم والآداب، وقد علمنا أنها ازدهرت عند العرب في العصر العباسي، فدخول أشخاص من الدول المختلفة إلى الأرض العربية، وتعلّم علومها ولغتها، يدعو بالمقابل إلى الاطلاع على ما احتوته ثقافتهم من علوم ومعارف، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الترجمة، فهي صلة الوصل بين ما احتوته العقول وما تضمنته الكتب، التي قد يندثر كاتبها بينما تبقى لتحيي ذكراه، وأكثر ما يثير العجب في عصرنا هو الابتعاد عن الكتب المترجمة في أبحاثنا الأكاديمية، خوفاً من الركاكة اللغوية، أو عدم الدقة في نقل الفكرة التي أرادها المؤلف الأساسي، وفي الوقت ذاته لا نملك القوّة اللغوية باللغات الأخرى لقراءة الكتب بلغتها الأم، فيبقى العلمُ لدينا مبتوراً ومقتصراً على كتبنا.

وفي بحثنا هذا اعتمدنا على كتاب تاريخي يعكس وجهة نظر مختلفة عمّا ألفناه في كتبنا حول الأندلس، وحول السيرة النبوية، فالسؤال: هل كل المسلمين متوحشون فعلاً؟ وهل كل الغرب يفكر بالطريقة ذاتها؟

هذا ما سنراه حسب كلام الأسقف الطليطلي رودريغو صاحب كتاب

«تاريخ العرب»، الذي جعلته نموذجاً للبحث، لأنني وجدت فيه ما يشبه يومنا الحاضر كما استطاع المترجم أن يلهمني بلغته الواضحة لألفت الانتباه إلى ما وراء الجدار من شخصية المؤلف، وإلى ضرورة كتابة التاريخ ومجرياته لمعرفة المغتصِب من صاحب الأرض.

أهمية الترجمة في نقل صورة الآخر:

لا بدّ بداية من أن نذكر العناوين التي تحدث عنها الكتاب، منها: السيرة النبوية، تاريخ الخلفاء الراشدين، قيام الإمارة الأموية في الأندلس، فتنة الأندلس، ممالك الطوائف. كل تلك العناوين تبدو مألوفة درسناها أكثر من مرة في التاريخ والأدب الأندلسي، لكنّ بعضها احتوى على ما لم نقرأه في تاريخنا ولا في السيرة النبوية؛ إذ رأى المؤلف السيرة النبوية بعين غير منصفة ولا عارفة، وكأنه يتعمد تشويه صورة الرسول فهو لا يعرف اللغة العربية، وأغلب الظنّ أنه لم يقرأ الكتب التي احتوت سيرة النبي، كما طلب من أحدهم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، فلو كان يعرف اللغة لما احتاج إلى ترجمة كتاب الله، وهو كما قالوا رجل دين وهذا يعني أنه من الأشخاص الذين يفهمون الكتب السماوية كما يجب.

أما ما نقله خطأ في السيرة النبوية فقد توزّع على عدة صفحات في الكتاب، أبرز تلك الأباطيل أنّ اسم والد النبي علي وأمه حليمة، وقد تعلم عقائد الدين اليهودي والمسيحي على يد منجم يهودي كان صديق والده، وأنه وُلد في يثرب، وعمل في خدمة امرأة تدعى هدية. هذه السيرة لم نرها لولا الترجمة، ونحن في هذا الصدد نتعلم أنه من المهم، أن ننقل ونترجم لنوضّح مثل هذه الأكاذيب وندلّ على الصواب، فإن كان المؤلف غير عالم ولا عارف ما يكتب، وما يصف لكنه مؤثر وموثوق لدى شعبه فتكون كارثة فكرية. ثم يضع المؤلف عنواناً عريضاً: «حول ترقية محمد إلى ملك ورؤاه المفتراة». من الواضح وجود حقد قديم ودفين داخل المؤلف، فإننا لم نقرأ عن مسيحي قد أذى النبي، لكننا قرأنا عن يهودي قد أذاه، وهذا ما يثير الفضول حول معتقد هذا الأسقف.

ومما سبق نجد أنّ الترجمة نقلت رؤية الطرف الآخر، ويمكن لهذا الرأي،

على الرغم من كذبه الواضح، أن يفتح أمام الدارسين أفق البحث عن الشخصيات المؤثرة في أحد العصور ومعرفة مدى أثر مؤلفاتهم على المجتمعات، وهل كلّ الناس يثقون بتلك الآراء؟ فالأهمية تكمن في التعرف على الآخر، ومحاولة تصحيح الخطأ، فكم من كتاب قديم ما زال أثره حاضراً في العقول، بينما معلوماته لم تكن دقيقة ولا صائبة! هذا ما نخشاه كدارسين وباحثين عن حقيقة الكلمة وهدفها.

الرؤية الغربية للمسلمين العرب في الكتب التاريخية القديمة:

لننظر إلى هدف المؤلف من كتابه الذي قال عنه: «من جانبي أردت أن أسجّل لصالح الأجيال القادمة تعاقب الأحداث بينهم وأمور أوقاتهم، وليلاحظ عقل القارئ كيف خلق الوحي الكذاب الذي صدر عن الرجل الماكر محمد سمّاً سيئاً كأنه قيّد النفوس الشهوانية بقيود، فليتعلم الصغار ضرورة الابتعاد عن القصص الكاذبة والاعتصام بحبال آدم والتمسك بقيود اللطف». لنحلل كلامه ونتمعن في هدفه، أولاً يخاطب اللاحقين، ثم يشوه صورة الدين الإسلامي، لكنه يدّعي كذباً أنه اعتمد على الكتب والروايات الصحيحة، فقد رأينا كيف حرّف السيرة النبوية، لكنه اعترف من دون أن يشعر بأنه رجل دين مفترٍ ذو نفس شهوانية لا يقبل بقيود الدين والعقل.

وما يلفت الانتباه في الكتاب، أن المؤلف لم يذكر الحكّام الأندلسيين كثيراً لا بعيوبهم ولا بمحامدهم، بينما فصّل وتكلم عن الحكّام العرب وعن صراعاتهم واختلافاتهم ووحشية تعاملهم، ولم يأتِ إلا على اليسير من انتصاراتهم، ليثبت للأجيال اللاحقة أنّ من يحكمهم غير عادل، فيجب عدم التصديق والاتباع، كرسالة تحذيرية لهم. ولا يمكننا إلا أن نقول: الآن عرفنا كيف سقطت الأندلس وكيف خسر العرب، من زاوية أخرى مختلفة، وفهمنا أن المطامع والاختلافات المتكررة، التي كانت بينهم سواء بين بعضهم كإخوة أو كحكّام، وهذا ما يضعف هيبتهم على مرّ العصور.

ختاماً نستطيع توضيح عدة نقاط، منها: كيف ينقل صاحب الأرض

مظلوميته على أساس تصوير ظلم الحاكم الذي استباح أرضه، فنحن عرفنا الأندلس والآداب والعصر بأكمله، لكننا جهِلنا مشاعر من عاشوا في تلك الفترة من سكان إسبانيا الأصليين، عندما دخل العرب أرضهم، فنقف عند هذا الكتاب كمحللين تارة وكناظرين بحياد تارة أخرى، فالحروب بعين الغاصب كلها انتصارات، وبعين صاحب الأرض كلها مظالم، فهل نحن أنصفنا الأندلس في نقل الآداب التي صنعها العرب هناك؟ إن كنّا منصفين فأين الآداب الأندلسية للسكان الأصليين؟ هل كان لديهم أي فن؟ أم في نقل المعارف يصبح التاريخ كالإعلام ينشر ما يُسلّط عليه الضوء أكثر ويُترك ما خلف الكواليس من الأمور الصغيرة التي لا يراها إلا من كان في قلب العاصفة، ولا يحقّ له أن يحكيها لأنها تزعزع انتصارات الآخرين المبنية على صمتهم. لذلك أرى أن الترجمة هنا أعطت الحقّ لهذا المؤلف أن ينطق بما لم نره في كتب العرب على اتساعها!

لأننا قرأنا عن المنتصر وبقلمه، ولم نقرأ عن صاحب الأرض ولم يصلنا ما كتب، صحيح أنّ المؤلف لم يكن دقيقاً، وتعمّد إظهار العرب بوجه قبيح في أغلب الكتاب، لكن يكفينا أن نرى وجهة أخرى غير التي اعتدنا رؤيتها، وحبّذا لو نُقلت كل كتب التاريخ إلى لغتنا لندقق ونصوب ونقارن، فلا شيء يكتمل من طرف واحد، لتكتمل المعرفة يجب الإحاطة بكل سبلها، وبعدم الترجمة نحن نغلق الباب على ذاكرة التاريخ التي تعلمناها في المدارس والجامعات، فكنّا دائماً الطرف المنتصر فيها، ونحزن عند هزائمنا، بينما أخفى علينا التاريخ فرح الآخر، فقراءة التاريخ مهمة عندما تجتمع وجهات النظر وتكون صفّاً واحداً أمام النقد والتحليل، وتظلُّ الترجمة المنقذ الوحيد في ظلّ التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي الذي بات يعبث على هوى صانعيه بالمحتوى.

كاتبة سورية

كلمات مفتاحية

الترجمة
نور كوركو

اتركَ تعليقاً

لن يتم نشر عنوان بريدك الإلكتروني. الحقول الإلزامية مشار إليها بـ *

التعليق *

الاسم *

البريد الإلكتروني *

إرسال التعليق

اشترك في قائمتنا البريدية

أدخل البريد الالكتروني *

اشترك

أرشيف PDF

النسخة المطبوعة

سياسة

صحافة

مقالات

تحقيقات

ثقافة

منوعات

لايف ستايل

اقتصاد

رياضة

وسائط

الأسبوعي